العرب
الخميس 2020/01/09
السنة 42 العدد 11581

الأعمال الكوميدية في مصر تفقد بوصلة الإضحاك لتعزز الابتذال

الاستعانة بالمشاهير ونجوم التواصل الاجتماعي لا تضمن النجاح

«حشمت في البيت الأبيض» فكرة جيدة ضاعت في التفاصيل

تعاني الأعمال الكوميدية في المسلسلات من خلل واضح في مقومات صناعتها، خاصة كتّاب السيناريو الذين حوّلوها من قصة مسلية تعتمد على مفارقات المواقف المضحكة إلى "اسكتشات" مسرحية مليئة بالابتذال والسخرية من العيوب الجسدية، ولا تتضمن تطورا في الأحداث أو بناء الشخصيات.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

يمثّل مسلسل "حشمت في البيت الأبيض" للفنان المصري بيومي فؤاد تجسيدا للأمراض المزمنة التي تمر بها الكوميديا المصرية، فرغم خصوبة الفكرة التي تدور عن وصول أول أميركي من أصل مصري إلى رئاسة الولايات المتحدة، إلاّ أنها ضاعت في خضم النكات السطحية والافتعال المبالغ فيه في أداء الشخصيات.

وكشف المسلسل الذي تعرضه منصة "واتش.إت" الرقمية حاليا، استمرار النظرة القاصرة للكوميديا وحصر هدفها الأساسي في اجترار الضحك، دون مراعاة طبيعتها كفن صعب يحتاج إلى جرّاح يراعي الشعرة الفاصلة بين الإضحاك والابتذال، فمن السهل إثارة عواطف الناس ودفعهم للبكاء، لكن يصعب رسم ابتسامة على وجوههم بمضمون خال من السخافة.

مأزق الكتابة

يدور العمل عن حشمت أبوبلابل (بيومي فؤاد) ابن نزلة السمان التابعة لمحافظة الجيزة القريبة من القاهرة، والذي رفض الاستمرار في إدارة مقهى والدته حدوتة (أنعام سالوسة)، وهاجر بحثا عن الفرص ليرشحه الديمقراطيون في انتخابات الرئاسة، ويفوز بها بعد مناظرة شديدة السذاجة مع نظيره الجمهوري، هدّده خلالها بتسريب مقاطع مصوّرة مع عشيقاته بينهنّ واحدة أنجب منها أبناء.

يحاول السيناريو انتزاع الضحكات بتصوير حشمت كشخصية خاوية لا يهمها سوى التحرّش بمساعدته الشقراء، ويعجز عن الوصول إلى حلول للمشكلات المتراكمة، فيستعين بوالدته التي تمتلك خبرة في إدارة شؤون المنزل والمقهى في أوقات المواسم كمباريات كأس العالم.

ويعتمد كتّاب السيناريو الأربعة، محمود حجاج وأيرين يوسف ونادر بكر ورامي علي، على تصوّر يجعل مصر أفضل من أميركا فيستغرقون في ترديد عبارات تظهر عظمة المواطنين بوصفهم الوحيدين الذين يتصوّرون "سيلفي" مع القنابل، ويعيدون ملء قدحهم بقيمة تعادل سعرها الحقيقي مراعاة للعشرة (بكسر العين).

وتقول الناقدة الفنية ماجدة خيرالله، لـ"العرب"، إن مشكلة الكتابة الكوميدية في الاعتماد بشكل رئيسي على النكات اللفظية دون افتقار لحس الدعابة أو خلق مواقف تظهر قدرات تمثيلية أثناء تأديتها، فبعض الكتّاب يشترون النكات لتوظيفها في أعمالهم ووضعها على لسان ممثلين يمتلكون جماهيرية.

ولجأ "حشمت في البيت الأبيض" إلى النكتة بشكل أساسي، فجهود الرئيس الجديد لمحاربة العنصرية لا تتعدّى تغيير اسم محال "العبد" المتخصصة في الحلويات إلى "السيد العبد"، وإلغاء مسمى اللبن الأبيض والأسود وبيعهما باسم واحد تحاشيا للتفرقة على أساس اللون، ورؤيته لتطوير البنية التحتية لا تخرج عن تجربته السابقة في النوم على الأرصفة.

أصبح كتاب الكوميديا أسرى لتجربة فرقة "مسرح مصر" التي أسّسها الفنان أشرف عبدالباقي القائمة على الارتجال، وإلقاء الممثلين الشباب مجموعة من النكات دون الالتزام بالنص الأصلي، وإعادة استنساخها في المسلسلات بنفس الأداء والطريقة، رغم الاختلاف الكبير في الشكل والمضمون بين المسرح والتلفزيون.

> كتاب الكوميديا باتوا أسرى لتجربة فرقة «مسرح مصر» التي أسّسها الفنان أشرف عبدالباقي وتستند إلى الارتجال فقط

وتوضح خيرالله، لـ"العرب"، أن الكتابة الكوميدية في مأزق مع تزايد الاعتماد على الورش التي تتبنّى وصفات ثابتة لا تخرج عن السخرية من عيوب الآخرين والفهلوة في أداء الممثلين، عكس الطريقة القديمة المعتمدة على سيناريو محكم قادر على تحويل أي فنان إلى "كوميديان" مثل رشدي أباظة في فيلم "نص ساعة جواز" وشادية في فيلم "مراتي مدير عام"، وفاتن حمامة في فيلم "الأستاذة فاطمة".

ويرتكز الإنتاج الجديد من المسلسلات الكوميدية على شعبية الممثلين ورصيدهم السابق لدى الجمهور، فالفنان بيومي فؤاد أصبح كالملح لا يخلو منه أي عمل، وتصل حجم مشاركاته في الموسم الواحد إلى ما يزيد على ستة أعمال، بجانب مشاركات مشابهة في السينما والمسرح.

حاول صناع المسلسل "حشمت في البيت الأبيض" استغلال مشاهير التواصل الاجتماعي في جذب الجمهور إليهم وتحقيق نسبة مشاهدات مرتفعة بتوظيف إعلامي مثل أحمد رأفت، الشهير بمذيع الشارع، والزجّ به لأداء دور الناطق الرسمي باسم الرئيس الأميركي ليكتفي في غالبية مشاهده كلها بالضحك دون المشاركة في الحوار.

وظف مسلسل "حشمت في البيت الأبيض" النكتة عبر بوابة التلميحات الجنسية ومحاولة الإضحاك بالتلاعب بالألفاظ الملتبسة التي تتضمن معنيين مختلفين، حتى في أسماء أبطاله فجاء مدير المراسم باسم "حانك لولو" ومدير الحرس الرئاسي "حانوتي"، ورئيس وفد الكونغرس الفنان سامي مغاوري، وظهر باسمه وشخصيته الحقيقية.

ويشير البعض من النقاد إلى أن موهبة الممثل غير كافية لنجاح العمل من دون وجود بناء يجعل الأحداث تتطور باستمرار، وتخلق حالة من الشغف والترقب للحلقات التالية، فالأساليب الجسدية والألفاظ الخارجة والحركات المبتذلة لن تضحك الجمهور سوى مرة واحدة.

ويدفع مخرجون حاليا بمجموعات ثابتة من الفنانين في غالبية الأعمال الكوميدية، فمع بيومي فؤاد تظهر تشكيلة شبه ثابتة تضم نماذج مثل، محمد ثروت ومحمد سلام، مع أن الواقع العملي يظهر أن خفة ظلهم ليست كفيلة بتحقيق النجاح. ففي مسلسل "خفة يد"، الذي تعيد بعض الفضائيات تقديمه يحكي عن ضابط يطارد مجموعة من النصابين لم يحقّق مشاهدات كبيرة.

شهد موسم الدراما الماضي سقوطا عنيفا لغالبية الأعمال الكوميدية التي بلغ عددها نحو 6 مسلسلات اعتمدت على الخلطة ذاتها، فجاءت أعمال "فكرة بمليون جنيه" للفنان علي ربيع، و"البرنسيسة بيسة" للفنانة مي عزالدين، و"سوبر ميرو" لإيمي سمير غانم، و"الواد سيد الشحات" لأحمد فهمي و"الزوجة 18" لحسن الرداد، ضمن أسوأ الأعمال.

وأكد الناقد الفني أحمد عزيز، لـ"العرب"، أن "الكوميديان" كان فردا من المجتمع يحتك به ويناقش قضاياه، ويختلط مع الجمهور في المناطق الشعبية ويلتقط منهم سلوكا أو تعبيرات يوظفها في الأداء، أما حاليا عزل الفنان نفسه عن الاختلاط وتصوّر أنه "أيقونة متحركة" قادرة على الإضحاك عبر الخروج عن المألوف وإعادة تقديم ما يكتبه شباب "الكوميكس".

انعزال اجتماعي

تعاني الكتابة الكوميدية من انعزالها عن السياق الاجتماعي والبعد عن قضايا الواقع، ربما لمحاذير سياسية أو تجاهل الكتّاب الكبار المعروفين بتحميل أعمالهم قدرات عالية من النقد، ما يجعلها شبيهة بوجبة سريعة لا تسد نهم الجمهور للضحك، وتفقد قدراتها على البقاء، وكانت تلك الإشكالية وراء اعتذار عديد من الممثلين عن أعمال كوميدية بحتة لعدم وجود القصة الجيدة المغرية للتجسيد.

وأضاف عزيز، لـ"العرب"، أن الآمال كانت معقودة على مجموعة من النجوم الشباب لإحداث تغيير في الكوميديا، لكنهم خسروا الرهان بعد تسرّعهم في اللهاث وراء البطولة والربح المالي، ووافق بعضهم على أعمال "ثقيلة الظل" لفظها الجمهور.

وتظهر المسلسلات الكوميدية قدرا كبيرا من الاستسهال يجعل الأفكار متشابهة، فمسلسل "حشمت في البيت الأبيض" اعتمد في معالجة أزمات أميركا المالية على جمع دولار من كل مواطن لسد عجز الموازنة ليشبه تماما مسلسل "فكرة بمليون جنيه" للفنان علي ربيع الذي فكّر في جمع جنيه من كل مصري لاستثمارها وتوزيع العائد على الجميع.

ويرى نقاد أن كتابة الكوميديا تحتاج إلى موهبة قادرة على توليد جمل حوارية ومواقف مؤثرة، والذين يملكونها لا يجدون الفرصة مع سطوة بطل العمل الذي يختار كاتبا خاصا يمنحه المساحات الأوسع من الحوار على حساب باقي الممثلين، ما يجعلها شبيها بالمونولوج الفردي.

ظلت الكوميديا وسيلة لمناقشة المشكلات الاجتماعية، فعبر بوابتها تمّت معالجة قضايا الفقر والبطالة والهجرة إلى الخارج والفساد، ليجد الجمهور نفسه في تنازع بين التضامن النفسي مع معاناة الأبطال والضحك على محاولاتهم المستمرة للمواجهة والخروج من دائرة الأزمات.

وتضمنت الكثير من الأعمال الكوميدية النكتة اللفظية السريعة كميراث ضارب بجذوره في التراث الشعبي والثقافي، لكن جرى توظيفها في إطار أكثر تعقيدا لتفجّر قضايا مرتبطة بسياق العمل ويدفع الجمهور للتفكير حول الجدليات الدينية والعادات المجتمعية.

«مجرد لحظات» دراما عُمانية ناجحة رغم بعض المبالغات

ناهد خزام
كاتبة مصرية

يقدّم المسلسل العماني "مجرد لحظات" دراما اجتماعية ذات أبعاد مثيرة، وأحداث ساخنة استطاعت أن تلفت انتباه المشاهد والأسرة العمانية والخليجية عامة، إذ حظي المسلسل بمتابعة ملحوظة عند عرضه على تلفزيون عمان الرسمي مؤخرا.

والمسلسل الذي تولى إخراجه المخرج السوري عارف الطويل ووضعت له السيناريو الكاتبة العمانية بهية الشكيلية، لا يقل بأي حال من الأحوال عن مجمل الأعمال الخليجية الأخرى ذات الطابع الاجتماعي، والتي تسعى إلى تسليط الضوء على قضايا المجتمع وإشكالياته، والإشادة بإيجابياته وعاداته الاجتماعية.

البطولة الرئيسية في المسلسل كانت من نصيب الفنانة السورية نيفين ماضي والفنان العماني عصام الزدحالي، بالإضافة إلى نخبة كبيرة من النجوم العمانيين، على رأسهم الفنان صالح زعل والنجمة فخرية خميس، إضافة إلى كل من شبير العجمي ووفاء مكي ومحمد الزدجالي.

ويدور المسلسل في إطار اجتماعي تشويقي حول عمر الذي يؤدي دوره الفنان عصام الزدجالي، وهو شاب في مقتبل العمر، يساعد جده (صالح زعل) في إدارة شركته الكبيرة في مدينة مسقط.

يتسم عمر بصفات طيبة، فهو شاب رحيم وعطوف ويرتبط بجده ارتباطا وثيقا، فهو الذي تولى تربيته بعد وفاة والدته وتخلي أبيه عنه بسبب شكه في نسبه له واتهامه زوجته بالخيانة، وهو أمر ترك أثره على التركيبة النفسية للشاب عمر.

وفي المقابل تطالعنا أسرة منصور (محمد نور) وأبنائه الثلاثة، وأكبرهم نادية (نيفين ماضي) وهي شابة جميلة تسعى للبحث عن عمل لإعانة والدها على أعباء المعيشة، وتحصل بالفعل على فرصة للعمل في الشركة التي يديرها عمر. مع مرور الأحداث تتوطد العلاقة بين عمر ونادية وتنتهي بالزواج بعد أحداث مثيرة وحزينة لكليهما.

تتعقد الأمور حين تدخل سهيلة (فخرية خميس) على خط الأحداث، إذ تسعى سهيلة بمعاونة زوجها وأبنائها إلى التفريق بين عمر وجده من أجل الاستيلاء على ثروتهما. تدعي سهيلة وأسرتها الإفلاس وتنتقل للإقامة في بيت الجد حتى يتسنى لهم وضع خطة للسيطرة على ثروته، فهم يرون أنهم أحق بها من حفيده عمر الذي يحظى بثقة جده وتدليله.

تتوالى الأحداث، وتستطيع سهيلة الوقيعة بين عمر وجده، كما تحاول التأثير عليه وإبعاده عن نادية بكل السبل الممكنة حتى يتسنى لها تزويجه بابنتها أصايل (وفاء مكي)، كما تلجأ سهيلة إلى الاتفاق مع مازن (محمد الزدحالي) وهو أحد الموظفين في الشركة على التلاعب في أوراق الشركة، وكذلك الإيقاع بنادية في شباكه وإيهامها بحبه لها ومن ثم خطبتها. لا تكتفي سهيلة بهذا، بل توعز إلى مازن باستدراج نادية ومحاولة الاعتداء عليها مع أصدقائه حتى تكسر أنفها وتلطخ صورتها وسمعتها أمام الجميع. كما تدبر مؤامرة لاختلاس أموال الشركة في فرعها بالخارج.

يسافر الجد لعلاج هذه التداعيات، وفي هذه الأثناء تسيطر سهيلة وأسرتها على البيت والشركة عن طريق تزوير أوراق الملكية، بل وتقوم أيضا بطرد عمر خارج البيت وتعلن نفسها المتحكم في كل الأمور.

نجح العمل في خلق إطار درامي جيد ومثير عبر الأحداث المتلاحقة والتحولات السريعة ما جعله يحظى بجرعة لا بأس بها من التشويق والتفاعل العاطفي مع شخصيات مثل نادية وعمر والجد وأيمن ابن سهيلة الأصغر، في مقابل استهجان شخصيات أخرى كشخصية سهيلة وابنتها وزوجها وابنها الأكبر رشيد. ولعل الصراع بين الخير والشر يمثل أحد المثيرات الجاذبة والمحببة للجمهور داخل الحبكة الدرامية.

هناك جوانب أخرى يجب الإشادة بها كاختيار كادرات التصوير والمؤثرات الصوتية، والانتقال بين أماكن تصوير مختلفة، وعرض قضايا اجتماعية وإنسانية مؤثرة وذات قيمة. أما على مستوى الحوار فقد بدا متوازنا إلى حد كبير، ويمكن التغاضي هنا عن المبالغة في التعبير عن المشاعر، والأداء الفضفاض في بعض المشاهد، وكذلك الإمعان في توظيف الشر بلا داعي أحيانا.

ومع ذلك، يؤخذ على المسلسل، مثلا، ضعف الحبكة الدرامية في الكثير من المواقف والأحداث المفصلية وكذلك الاستسهال في صوغ بعض المشاهد التي كانت في حاجة إلى نوع من المعالجة المتأنية لها. ونذكر من ذلك على سبيل المثال تلك المؤامرة التي حاكتها سهيلة للاستيلاء على أموال أبيها وطرد عمر من البيت، والتي تمت بسهولة ويسر على نحو ساذج ومُفتعل، كما أن انتهاز سهيلة لسفر والدها إلى الخارج لتنفيذ مؤامرتها تلك يبدو لافتا، فرغم كل هذه التحولات والانقلاب الذي حدث للشركة في إدارتها وسخط المديرين والموظفين فيها على ما حدث، نجد أن الجد في الخارج (وهو صاحب الشركة ومديرها) لا يعلم شيئا ممّا يحدث في مقر شركته، وهو يبرر ذلك بأنه قد حاول الاتصال بالشركة من دون أن يتلقى ردا.

> مسلسل «مجرد لحظات» ينجح في وضع الدراما العُمانية على مضمار السباق والتنافس مع الإنتاج الدرامي الخليجي

والسؤال هنا: ألا يعدّ هذا مدعاة للقلق يدفعه إلى معاودة الاتصال والاطمئنان على أحوال الشركة وأسرته؟ فقد بدا الأمر وكأننا نتعامل مع رجل يدير محلا صغيرا، وليست شركة كبيرة لها أفرع في الخارج، أو أن وسائل التواصل والاتصال الأخرى قد اختفت فجأة.

هناك أيضا غموض غير مبرر في مسألة ارتباط نادية بمازن، كما أن فكرة الفتاة الجميلة التي يقع في غرامها كل من يراها وتؤديها نيفين ماضي يبدو أمرا مبالغا فيه، فمعظم شخصيات المسلسل تقريبا قد وقعت في غرام نادية، بداية من صديق أبيها إلى مازن وعمر وزوج سهيلة وابنها رشيد، نراهم كلهم يتنافسون على حبها ووصالها.

ولكن في المجمل يبدو العمل لافتا للانتباه، إذا ما قورن بالإسهامات الشحيحة للدراما العمانية على مستوى الإنتاج الدرامي الخليجي، فهي تجربة مختلفة، وتبدو أكثر ثقة من التجارب السابقة للدراما العمانية.

حب تعصف به الأطماع